اليقين بمصادر المعرفة في القران الكريم
وأثره على منهج البحث في التفسير

دكتورة/ دلال كويران السلمي
الأستاذ المساعد بقسم القراءات- جامعة أم القرى

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

إن بنيان العلوم الشرعية يقوم على أسس متينة وأساليب متكاملة يدعم بعضها بعضًا، وتستمد بنيانها المعرفي ونسقها الفكري من مصادر المعرفة في الإسلام تلك المصادر التي تميزت عما سواها من المذاهب والفلسفات بتكاملها وتوافقها.

وفي عصرنا الحاضر ظهرت مناهج تقدس الشك في مناهج البحث في العلوم الشرعية، وترى أن اليقين بأصولها الشرعية يسقط قيمة العقل والتجريب، وتعلي من المناهج التي تعتمد على مصدر وحيد للمعرفة مقابل الطعن في الأسس المعرفية لسائر العلوم الشرعية.

لذا كانت أهمية هذا البحث الذي يبرز مصادر المعرفة في القرآن الكريم، وأن المعرفة اليقينية التي تنتج عنها لابد أن تكون مثمرة، وتبين كيف أثّر ذلك اليقين على مناهج البحث في التفسير، وأخرج لنا أصولًا وضوابط مبنية على مصادر متعددة للمعرفة.

أهداف البحث:

- بيان اتساق مصادر المعرفة القرآنية التي تجعل الوحي أحد مصادرها، مع طبيعة عالم الغيب والشهادة.
- إبراز الجوانب المعرفية المتعلقة باليقين في القرآن الكريم والتي أثرت على منهج البحث في التفسير.
- بيان قيمة المعرفة اليقينية، وأن الشك مذهب العاجزين الذين لا يعملون عقولهم ولا قلوبهم ولا حسهم، فيما حولهم من الآيات والاستدلالات.

الدراسات السابقة:

جاءت الدراسات السابقة على نوعين من الدراسات:

دراسات تتعلق بالمعرفة الإسلامية ومصادرها ومنها:

المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها للدكتور عبدالله بن محمد القرني القرني وأصل الكتاب رسالة دكتوراه مقدمة لقسم العقيدة وتعرض فيها لمصادر المعرفة ومجالاتها في الإسلام مع نقد المخالفين في هذا الباب.

مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي للدكتور عبدالرحمن بن زيد لزنيد يتعرض لمعنى نظرية المعرفة وتاريخها والمذاهب الفلسفية في المعرفة وتطوراتها ونظرية المعرفة الإسلامية ومصادرها.

دراسات عن اليقين:

اليقين ومكانته التربوية في المعرفة الإسلامية للدكتور مأمون النعمان وتعرض فيه للوسائل والأساليب التربوية لتحقيق اليقين.

اليقين في القرآن الكريم للدكتوره وفاء عبدالله الزعاقي حيث تكلمت عن منزلة اليقين في القرآن، وجمعت ودرست المواضع التي تحدثت عن اليقين في القرآن الكريم.

وتتمثل إضافة هذا البحث في الاقتصار على مصادر المعرفة الواردة في القرآن الكريم دون إسهاب في نظرية المعرفة وتطوراتها، كما تدرس المواضع التي ارتبط بها اليقين بمصادر المعرفة أو مجالاتها في القرآن الكريم، وأثر ذلك اليقين على منهج البحث في علم التفسير.

منهج البحث:

اعتمدت في البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تتبعت مصادر المعرفة ومجالاتها في القرآن الكريم النصوص، والمواطن التي ارتبط بها اليقين بالمعرفة، ثم حللت أثر ذلك اليقين ونتائجه على منهج البحث في التفسير.

ويتكون البحث من: مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

المبحث الأول: مصادر المعرفة ومجالاتها في القرآن الكريم

المطلب الأول: الوحي

المطلب الثاني: العقل

المطلب الثالث: الحس

المبحث الثاني: المواضع التي ارتبط فيها اليقين بمصادر المعرفة ومجالاتها في القرآن

المطلب الأول: ارتباط اليقين بالأمور الغيبية

المطلب الثاني: ارتباط اليقين بآيات الله المحسوسة والمشاهدة بالكون

المطلب الثالث: ارتباط اليقين بآيات الله الشرعية

المبحث الثالث: أثر اليقين بمصادر المعرفة في منهج البحث في التفسير

المطلب الأول: الاهتمام بوضع ضوابط للمفسر

المطلب الثاني: إقامة التفسير على مقاصد التشريع

المطلب الثالث: تراتبية مصادر التفسير

المطلب الرابع: اطراح المناهج الدخيلة

الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات

ثم الفهارس (فهرس المراجع، فهرس المحتويات)

إجراءات البحث:

- عزوت الآيات لسورها مع ذكر رقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني.
- إذا نقلت من مصدر بالنص جعلت المنقول بين علامتي تنصيص " " ثم أحلت على المصدر في الهامش، وإذا كان النقل بالمعنى أو بتصرف قلت ينظر: .. مع ذكر الجزء والصفحة.
- لا أترجم للأعلام وإنما أذكر تاريخ الوفاة إن وجد في المتن.

تمهيد في مصطلحات البحث

المعرفة:

المعرفة في اللغة تعود إلى معنى السكون والاطمئنان،فالعين والراء والفاء أصلان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلًا ببعضه البعض، والآخر: على السكون والطمأنينة، والأصل الآخر المعرفة،والعرفان وهو يدل على نحو ما ذكرنا من سكونه إليه، لأن من أنكر شيئا توحش ونبا عنه،و العرف ضد النكر، والعرفان خلاف الجهل(١).

واصطلاحا:المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه، وإدراك الجزئيات والكليات. وهي والعلم تشتركان بهذا المعنى يقول ابن حزم(ت:٤٥٦ه):" العلم والمعرفة اسمان واقعان على شيء واحد وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه وارتفاع الشكوك عنه(٢).

والمعرفة مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تبارك وتعالى بالعالم دون العارف،ومن هذا نستخلص أن من معاني المعرفة:إدراك الشيء بإحدى الحواس، العلم مطلقًا تصورًا كان أم تصديقًا، إدراك البسيط سواء كان تصورًا للماهية أو تصديقًا بأحوالها (٣).

أما مصادر المعرفة: فهي الوسائل التي نستخدمها للتعرف على الموجودات من حولنا، أو العالم و الكون الذي جعله الله موضوعًا للتدبر، والتأمل، والنظر العقلي، ويصح أن تسمى وسائل المعرفة، أو طرق المعرفة، أو أدواتها(٤).

اليقين:

الياء والقاف والنون: اليقن واليقين: زوال الشك، يقال يقنت واستيقنت وأيقنت، واليقين تحقيق الأمر بالعلم الحاصل بعد نظر واستدلال(٥).

وعرفه السعدي)ت:١٣٧٦ه)" اليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك الموجب للعمل"(٦).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٢٨١/٤)، لسان العرب (٢٣٦/٩).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٤٢/٥).

(٣) ينظر: التعريفات،للجرجاني (ص: ٢٣٢-٢٣٣)، كشاف اصطلاح الفنون، محمد التهانوي (٢/ ١٠٣٩).

(٤) ينظر: مصادر المعرفة وحدود المنهج التجريبي في الإسلام ، عثمان جمعة، (ص:٣٣).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (١٥٧/٦)، لسان العرب (١٣/ ٤٥٧).

(٦) تفسير السعدي (ص:٤١)

ويظهر من هذا أن اليقين لابد أن يتضمن أمورا منها:

- أن اليقين يكون بعد نظر واستدلال، لذا لا يكون في مطلق الحسيات والضروريات بل فيما ينبني على أدلة وأمارات وبراهين سواء كانت نقلية أو استدلالات عقلية.
- أنه لابد أن يشتمل على اعتقادين: اعتقاد أن الشيء كذا، واعتقاد أنه لا يمكن أن يكون إلا كذا.
- أنه لا يقبل الشك ولا الزوال[1].

(١) ينظر: تفسير البغوي (٦٣/١)، تفسير المنار (١/ ١١٢).

المبحث الأول: مصادر المعرفة ومجالاتها في القرآن الكريم

لطالما كانت مصادر المعرفة ومجالاتها نقطة اختلاف بين الفلسفات والمذاهب المختلفة، ولا يخلو تصور للمعرفة من اعتقاد مسبق يحكم النظرة لطبيعتها، ولمصادرها، ولمجالاتها ومراحلها، فمن جاعل للعقل مصدرًا لا يقارعه مصدر، إلى من يجعل الحس والتجريب أساسًا للمعرفة، إلى من جعل الكشف والتجلي أحد مصادر المعرفة، وتباينت طرقهم في تقرير تلك المصادر، وتنوعت مشاربهم في إمكانية تحصيل المعرفة منها.

ولقد جاءت معالجة القرآن الكريم لتلك المصادر كأكمل ما يكون وأتمه، إذ أنه نزّل كل مصدر منزلته، وبيّن مجالاته، في نظرة تكاملية توافقية تجمع بين تلك المصادر، وتحدد مجالاتها، وتبين اختصاصاتها، فلا يهمل الحس، ولا يقصي العقل، بل يجعلهما مع الوحي مصادر أصيلة، يستند كل منهما للآخر في الوصول للحقائق المبينة على الأدلة العقلية والمشاهدات الحسية،والمنضبطة بهدايات الوحي وتشريعاته، وموجهًا للمعرفة لتزكية السلوك، ومحققًا لمقاصد الدين، فغاية المعرفة: العمل بها، واستخدامها لما يحقق المصالح الدنيوية والأخروية، وفيما يلي نعرض لتقرير القرآن لمصادر المعرفة وكيف عالجها.

المطلب الأول: الوحي

لغة: الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء، أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب، والرسالة. وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان(١).

واصطلاحًا: إعلام الله تعالى من يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفية سريعة(٢).

ولم يجعل القرآن الكريم الإيمان بهذا المصدر تسليمًا مطلقًا دون إعمال نظر وتدبر، والتفكر في إمكانية حدوثه ووقوعه، وجاء القرآن بالدلائل العقلية، والآيات الكونية، والمسلمات الفطرية التي تفيد وقوعه وإمكانيته ثم إثبات صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٦/ ٩٣).

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٦٣)، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ٢٩).

فجاءت معالجة القرآن بالتأكيد على إمكانية الوحي، وثبوته لمحمد صلى الله عليه وسلم وللأنبياء قبله،وعرض الأدلة العقلية والحسية على صحة رسالته،فيقرر الله تعالى أن بيان الحق للناس ودعوتهم للهدى ضرورة لهم:﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾[الإسراء: ٩٥].

وأن من تمام عدله أن يبين لهم ويحذرهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ التوبة: ١١٥

وهذا الأمر من وحي وإرسال رسل قد جرى في كل أمة سابقة:﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[النحل: ٣٦].

ويوضح القرآن طرق الوحي التي يختارها الله لمخاطبة أنبيائه:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [الشورى: ٥١]، ويبين ارتباط الوحي أوله بآخره،و أنه حقيقة لكل الأنبياء الذين سبقوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأنه لم يكن بدعًا من الرسل بقوله:﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[النساء: ١٦٣]

ثم ينتقل للتقرير أن كل ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو وحي من الله

تعالى:﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[النجم:١-٤]

والوحي باعتبار ذلك هو المصدر المعصوم للمعرفة الذي تقاس عليه المصادر الأخرى، وما تقتضيه من المعارف، يقول ابن تيمية (ت:٧٢٨ه):" المعرفة المكتسبة من الوحي معرفة يقينية مطلقة، ذلك أن الوحي بصفته جزءًا من علم الله له ما لهذه الصفة من كونها حقيقة مطلقة غير محدودة، ودلالة الوحي في إفادة المعرفة الدينية دلالة شرعية سمعية وعقلية" [١].

(١) مجموع الفتاوى: (١٣٦/١٣).

و الوحى دال على صحته بنفسه، وليست الدلالة منفكة عنه،فالقرآن كاف جدًّا أن يكون هو الدليل الوحيد على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]

ومع ذلك كان التأمل والنظر بالأدلة العقلية والنقلية والحسية مما نهجه القرآن لإثبات وتقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ حتى ينبني الإيمان على أدلة متنوعة عقلية وحسية،ويوصل الدليل لليقين المطمئن المبني على نظر واستدلال، فلم يترك منفذًا للحس يتأمله، أو استدلال عقلي يبني عليه، إلا وخاطبهم به فتارة يخاطب حسهم وما جربوه وما يرونه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

وتارة يغلق عليهم أي طريق قد يذهبون إليه لتفسير نبوته﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣].

وتارة يدعوهم للتأمل في خلق الله، وأن هذا الملكوت في السماء والأرض لم يوجد عبثًا، وأن أسلم خيار لهم هو الإيمان:﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ١٨٥].

وتارة يدعوهم لتمحيص ما نقل عن الأمم السابقة بشأنه:﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾[الشعراء: ١٩٧].

إن تأكيد القرآن لعموم الناس على أن ماجا ء به الرسول صلى الله عليه وسلم وحي من عند الله، دلالة أن هذا المصدر مهيمنًا على جميع المصادر وحكمًا عليها: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقد اختص الوحي بمجالات للمعرفة، فمن آمن به، وصدق بإمكانية ثبوته، فذلك التصديق والإيمان يستلزم أن يؤمن بما جاء به الوحي، وبما اختص به دون غيره من مصادر المعرفة.

أولها: اختصاص الوحي بالغيب المحض، يقصد بالغيب كل ما لا تدركه الحواس، مما أخبر الله تعالى عنه، وعالم الغيب هو ما تسميه الفلسفات القديمة والحديثة (الميتافيزيقيا) أو (الماورائيات) وغالب نظريات المعرفة وفلسفاتها الحسية التجريبية أو العقلية، إما تتكر وجوده، أو تتوقف عنده، وتجعله موضوع غير قابل للدراسة كونه لا يحس ولا يعقل، ولا يمكن الوصول لحقيقته بمصادرهم، أما في الإسلام فعالم الغيب موجود، وينقسم لغيب متعقل، وغيب محض،والوحي مصدر أساسي للمعرفة فيه، والغيب المحض لا يمكن الاستدلال عليه بالعقل مثل كيفية صفات الله تعالى، والصفات الخبرية، وعلم الساعة، وحقيقة الروح، وتفاصيل اليوم الآخر، و الغيبيات السابقة، والملائكة، والجن، و بداية الخلق، وغير ذلك مما لا يدرك إلا بالوحي فمن آمن بالرسول آمن به وصدقه.

ثانيها: اختصاص الوحي بالتشريع : يقصد بالتشريع جميع ما شرعه الله لعباده من عبادات وشعائر ومعاملات بين الناس، ويقوم اختصاص الوحي بالتشريع على أساسين ضروريين يتعلق الأول منهما: بتوحيد الله، وما يقتضيه ذلك من إفراد الله بالتشريع، وأنه حق خالص له، ليس لأحد أن يشاركه فيه، وأما الثاني: فيرتبط بطبيعة النفس البشرية، وتكوينها المعرفي المحدود، وما يقتضيه ذلك من عدم استقلال الإنسان بالتشريع لنفسه، .ولا يلزم من احتياج الناس للشريعة من الله قصر عقولهم عن إدراك ما يفيدهم أو يضرهم، من معرفة المصالح أو المفاسد،فالشريعة إنما جاءت موافقة للفطرة متممة لها[1].

إن اليقين باختصاص الوحي بتلك المجالين يمنع كثيرًا من الانحرافات المعرفية، وغالب الضلالات القديمة منها والمحدثة-تحريفًا للنصوص أو تعطيلاً أو تأويلاً- إنما هي بسبب منازعتهم لما اختص به الوحي دون غيره، فتوهموا التعارض الموجب للتأويل، وأدخلوا الاستحسانات العقلية والتصورات المعاصرة لصرف ظواهر النصوص عن حقيقتها.

([1]) ينظر: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، عبدالله القرني (١٥٧-١٦٧)، مصادر المعرفة بين الفكر الديني والفلسفي عبدالرحمن الزنيدي (٣٨١، ٤١٦)

المطلب الثاني: العقل

العين والقاف واللام أصل واحد من قاس مطرد، يدل عظمه على حبسة في الشيء، أو ما يقارب الحبسة، ومن ذلك العقل؛لأنه الحابس عن ذميم القول والفعل، والعقل: نقيض الجهل، يقال: عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله،ورجل عاقل، إذا كان حسن الفهم وافر العقل،جامع لأمره ونهيه، حابس نفسه عن هواها(١).

والعقل ليس اسمًا لجوهر قائم بنفسه، وإنما هو مجرد صفة كالعلم والفهم، فهو قوة متهيئة لقبول العلوم، يقول ابن تيمية: " إن العقل في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والأئمة لا يراد به جوهر قائم بنفسه باتفاق المسلمين، وإنما يراد به العقل الذي في الإنسان، وعند من يتكلم بالجواهر والأعراض فهو من قبيل العرض، لا الجوهر"(٢).

ويستعمل هذا المصدر بمعان متعددة:فيُستعمل بمعنى الغريزة التي ميز الله بها الإنسان عن الحيوانات، وبفقده يسقط التكليف الشرعي عن الإنسان، كما يُستعمل بمعنى المعارف الفطرية والعلوم الضرورية التي يشترك فيها جميع العقلاء (مثل: الواحد نصف الاثنين والحادث لابد له من مُحدث والكل أكبر من الجزء)، كما يطلق على المعارف والعلوم النظرية التي تحصل بالنظر والاستدلال (٣).

والعقل كمصدر للمعارف مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحس، فالمعرفة العقلية تقوم على انطباع العقل بالمدركات الحسية، ولا توجد معرفة حسية بدون التصور العقلي،ولا يلزم من ذلك أن تتوقف المعرفة العقلية على ما تدركه الحواس، بل تشمل الاستدلال العقلي الذي يمكننا به إثبات وجود الحقائق الغيبية وإن لم تدركها الحواس. يقول ابن تيمية: " إنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس فما أفاده الحس معنيًا يفيده العقل والقياس كليًا مطلقًا، فهو لا يفيد بنفسه علم شيء معين لكن يجعل الخاص عامًا، والمعين مطلقًا،فإن الكليات إنما تعلم بالعقل كما أن العينات تعلم بالإحساس"(٤).

وقد ربط الله المعرفة به بالعقل واستخدام الحواس في مشاهدة ما في الكون والاستدلال به: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٤/ ٦٩)، لسان العرب (١١/ ٤٥٨)

(٢) بغية المرتاد (ص:٢٥٢).

(٣) ينظر: ماهية العقل ومعناه للحارث المحاسبي (ص:٢٠١)، مدخل إلى نظرية المعرفة أحمد الكرساوي (ص:١١٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل(٣٢٤/٧).

ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة: ١٦٤].

والعقل له دوره في المعرفة الدينية(الغيب، والتشريع)، إلا أنه ليس مصدرًا مستقلاً؛ بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، فالعقل لن يهتدي إلا بالوحي، والوحي لا يلغي العقل.

والمعرفة في الإسلام تقوم على الاستدلال العقلي على ما يجاوز المدركات العقلية، لكن بشرط توسط المحسوس في تلك الدلالة؛ لأن الضرورة العقلية لا تختص بالدلالة على الواقع المحسوس؛ بل قد تقتضي الدلالة على وجود حقيقة ما دون أن تكون الحواس قد أدركتها، وإنما أدركت الواسطة المقتضية لها، فلا يكون ذلك خارجا عن قدرة العقل، ولا مخالفا لاشتراطات المدركات الحسية.

لذا كان من الغيب ما يمكن الاستدلال عليه بالعقل وهو الغيب المعقول الذي لابد فيه من واسطة محسوسة، فليس العلم بالغيب المعقول مبنيًا على استدلال عقلي فقط،وإنما يتم إدراكه بناء على رابطة التلازم بين الحقيقة الغيبية وآثارها المحسوسة، وإثبات العقل للغيب المعقول هو إثبات معنى لا إثبات كيفية؛ لأن العقول لا تُدرِك حقيقتها وكيفياتها؛ لذا ضرب الله الأمثال في القرآن لتقرير مسائل الغيب تنبيهًا للعقول على إمكان وجودها، فاستدل مثلًا على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض، وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة[1].

ومن المسائل المهمة في هذا المصدر المعرفي:

- إن العقل له دور كبير، وهو مصدر أصيل للمعرفة، له منزلته العظيمة، ودلت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم على ذلك، فقد ورد الحث على استخدام وظائف العقل من تدبر وتفكر وتذكر بصورة متكررة ، وجاء الثناء على أولي الألباب ليبين عظم هذه المنزلة، وكان للعقل دوره الأصيل في العقيدة بإثبات الغيب المتعقل وفي التشريع بالاجتهاد والقياس .
- إن نصوص الوحي ليست مجرد نصوص إخبارية تتطلب التسليم العاطفي، دون تدبر وتأمل، يفضي إلى قناعة عقلية؛بل الوحي قائم على الدلالة العقلية، ومتضمن

(1) ينظر: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، (٥٠١-٥٠٤)، مصادر المعرفة بين الفكر الديني والفلسفي (٣٨٦).

لها، وأساليب المحاججة والاستدلال في القرآن تبين كيف خاطب الله تلك الغريزة للوصول إلى الإيمان.

- إن الدليل العقلي أحد أنواع الأدلة الشرعية، فالدليل الشرعي لا يُقابل بالدليل العقلي ولا يُجعل قسيمًا له، والعقل والنقل لا يتعارضان إذ لكل منهما اختصاصه ومجاله.
- إن سائر العلوم والمكتسبات الطبيعية التي عن طريق العقل هي أحد أنواع المعارف المكتسبة بالقوة العقلية، وليس في تقدمها وتنوعها الغاء مصدر الوحي كونها لا تحصل منه، فليس ذلك من اختصاصه، ولا مجالاته، والعقل المؤمن بالوحي لا يقيده إيمان ولا عقيدة عن اكتشاف وتسخير ما في الأرض له؛ بل هي من مسلمات كونه مستخلف في الأرض.
- إن إثبات الإسلام لدور العقل، وفاعليته، وتأثيره، يجعله وسطًا بين المذاهب التي جعلته مصدرا وحيدًا للمعرفة، وبين المذاهب التي جعلت الحس والتجريب مصدرًا للمعرفة.

المطلب الثالث: الحس

الحس لغة: أصله الصوت الخفي[1]، والإحساس: العلم بالحواس، وهي:(مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف، اللسان واليد) والإحساس: قوة طبيعية في الجسم وبها يدرك الإنسان والحيوان الأشياء الخارجة عنه وما يطرأ عليه من تغييرات[2]

والحواس مصدر أصيل للمعرفة ولقد امتن الله تعالى على عباده بما وهبهم إياه من حواس وأكد على قيمة المعرفة الناتجة عنها: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

كما وصف الذين لا يستخدمون حواسهم للوصول للمعرفة التي تفيدهم بأنهم كالأنعام بل أضل: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٦/ ٩٣)

(٢)المفردات(ص:٢٣١)، لسان العرب (٥٠/٦)، المعجم الفلسفي (ص:٦٥).

وجاء الأمر في القرآن باستخدام الحواس للوصول إلى الحقائق الكونية الموصلة للإيمان بالله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء: ٩٩.]

والحواس لها وظيفتها في المعرفة وتحققها، ولا يصح استبعادها كما يفعل السفسطائيون وبعض العقليين، وتكمن أهمية الحواس بأنها أدوات العقل ونوافذه للعالم، ولا وجود لمعرفة حسية مستقلة عن التصور العقلي، كما لا يلزم أن تتوقف المعرفة العقلية على ما تدركه الحواس،فلابد من التفريق بين المعرفة العقلية المتعلقة بالمدركات الحسة، وبين المعارف العقلية المتعلقة بالاستدلال العقلي الذي يمكن أن نثبت به الحقائق الغيبية وإن لم تدركها الحواس [١].

والعلم بالحواس يفيد اليقين المانع للشك، وكل ما كان العلم يقينيا أصبح كأنه مشاهدًا محسوسًا، ولم يحصر الإسلام المعرفة في هذا المصدر فقط ،كما فعل أتباع المذهب الحسي، وإنما جعله مصدرًا متكاملاً مع المصادر الأخرى، وهي: العقل والوحي.

وفي العصر الحديث أصبح التقدم المبني على التجربة الحسية قيدًا مانعًا لدى المفتتنين به من الإيمان بأي مصدر آخر، لدرجة الغلو في ذلك، فما لا يمكن أن يحس لا يمكن أن يكون علمًا، وقد سبق أن بينا أن تفرد مصدر بما هو في مجاله واختصاصه، لا يدل على عدم وجود غيره، وهذه نظرة القرآن التوافقية والتكاملية بين المصادر واختصاصاتها.

المبحث الثاني:المواضع التي ارتبط فيها اليقين بمصادر المعرفة ومجالاتها في القرآن

إن من سلك طريقاً وعمل عملاً، وأتاه من أبوابه وطرقه الموصلة إليه، فلا بد أن يفلح وينجح ويصل به إلى غايته، كما قال تعالى:﴿ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[البقرة: ١٨٩]

وكلما عظم المطلوب تأكد هذا الأمر، وتعين البحث التام عن أمثل وأقوم الطرق الموصلة إليه[٢]، ولا ريب أن المعرفة كي تكون مثمرة لابد أن تمحص ويستدل لها للوصول بنتائجها إلى أعلى مراتب التحقق والتصديق.

(١) ينظر :المعرفة ومصادرها في الإسلام (ص:٣٤٣).

(٢) ينظر: لقواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي (ص: ٩).

والمعرفة في الإسلام يقينية بمعنى إمكان الوصول للحقائق بعد اتخاذ الأسباب اللازمة لها، والوصول لها بأدواتها ومصادرها المناسبة، تبعا لموضوعها: عالم الغيب، أو عالم الشهادة.

وكثيرًا ما يربط القرآن الكريم المعرفة باليقين في مصادرها ومجالاتها؛ لأن المعرفة مؤسسة للفكر وموجهة للسلوك فلا بد أن تربط بأعلى درجات التصديق وأكمل مراتبه وهو اليقين.

المطلب الأول: ارتباط اليقين بالأمور الغيبية:

الإيمان بالغيب ومصادره أمر اختصت به المعرفة الإسلامية دون غيرها، فكثير من الفلسفات إما لا تؤمن بالغيب مطلقا كالفلسفة الوضعية، أو تؤمن بما وراء الحس إجمالًا، لكن لا تعتبر الوحي مصدرًا للمعرفة،والغيب له مصادر وطرق توصل للمعرفة به،فمسائل الغيب إما أن تكون تفصيلية فتسمى غيبًا محضًا وهذه مصدرها عن طريق الوحي، أو تكون مما يمكن الاستدلال عليه عقلا بشكل إجمالي بشرط توسط المحسوس في الدلالة، فيجتمع الحس والعقل والوحي في معرفتها.

و قد أثنى القرآن كثيرًا على المؤمنين بالغيب، ليس لأنهم سلموا فقط؛ بل لأنهم اتبعوا منهجًا سليمًا في الاستدلال بالمحسوس على المعقول، وأعملوا أدوات المعرفة من وحي وعقل وحس للوصول لما لا يدركونه حسًا،فكان إيمانهم يجمع بين العلم والعمل.

وقد ارتبط اليقين في مواضع كثيرة بالإيمان باليوم الآخر لكونه ثمرة للإيمان كله ومدعاة للعمل المستلزم لليقين،يقول تعالى في معرض الثناء على المؤمنين:﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ٤] ، أثنى الله جل ثناؤه على المؤمنين – بما أنزل إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل إلى من قبله من المرسلين – بإيقانهم بأمر الآخرة، و بما كان المشركون به جاحدين: من البعث والنشور والثواب والعقاب والحساب والميزان، وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة، عن ابن عباس،﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾: أي :بالبعث والقيامة، والجنة، والنار، والحساب، والميزان[1].

إن ارتباط اليقين بالإيمان باليوم الآخر تكرر في مواضع عديدة نحو قوله:﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[النمل: ٣]، وقوله:﴿ٱلَّذِينَ

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٢٤٦).

يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[لقمان: ٤]؛ لأن اليقين أقوى إدراكات العقل، ولهذا قيل: في وصفه هو مشاهدة الغيوب بعين القلوب، تنبيه أنه أقوى إدراكات العقل،(١)، واليوم الآخر غيب لم يره الموقنين به لكنهم صدقوا خبر الوحي، واستدلوا عليه حتى صارت معرفتهم به يقينية، فإن اليقين على ثلاثة أوجه: يقين عيان، ويقين خبر، ويقين دلالة. فأما يقين العيان: إذا رأى شيئاً، زال عنه الشك في ذلك الشيء، وأما يقين الدلالة: هو أن يرى دخاناً يرتفع من موضع، يعلم باليقين أن هناك ناراً وإن لم يرها، وأما يقين الخبر: فإن الرجل يعلم باليقين أن في الدنيا مدينة يقال لها بغداد، وإن لم يكن يعاينها. فهاهنا يقين خبر، ويقين دلالة، أن الآخرة حق(٢).

ولا يعتد بما دون اليقين في الإيمان، وقد قال الله تعالى في اعتقاد قوم:﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾[النجم: ٢٨]،وإذا لم يكن المؤمن موقناً وعلى نور من ربه في اعتقاده، فما حال من هو دونه من الشاكين والمرتابين.

ويعرف اليقين في الإيمان بالله واليوم الآخر بآثاره في الأعمال(٣)؛ ولأجل ذا من لم يدله يقين الخبر والدلالة على العمل؛ سيوقن عندما يراها حقاً يقينيًا، وسيطلب الرجوع للإيمان والعمل كما في قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[السجدة: ١٢]

إن ثمرة اليقين تظهر على الفكر بتجنب الشك والظن في مسائل الاعتقاد، وعلى العمل الصالح المبني على معرفة حقيقة الرجوع إلى الله عز وجل.

إن دلالة ارتباط اليقين باليوم الآخر في القرآن الكريم؛ لأن اليقين إما يكون بحس، أو خبر، أو دلالة، وقد اجتمعت في الأمور الغيبية دلالة الخبر، ودلالة العقل المرتبطة بدلالة الحس وإن لم تشاهد الأمور الغيبية عياناً، لذا كان اليقين به دلالة على الوصول بالأدلة إلى مبتغاها، والفائدة منها، كما أن اليقين باليوم الآخر، والبعث، والنشور،يستلزم قبل ذلك الإيمان بالله ورسله وخبره، ويؤدي للعمل الذي هو ثمرة اليقين فجمع ارتباط اليقين بالإيمان باليوم الآخر: حسن النظر والاستدلال، وقوة الإيمان والتصديق، وحسن العمل والعاقبة.

---

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٨٤).

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (١/ ٢٣).

(٣) ينظر: تفسير المنار (١/ ١١٣).

المطلب الثاني: ارتباط اليقين بآيات الله المحسوسة والمشاهدة بالكون

دلالة الحس على اليقين دلالة يدركها جميع البشر، فالذي يرونه لابد أن يثقوا بـه، وقـد جعل الله آياته الكونية موجبة لليقين لا بوجودها –فهو معلوم بالضرورة– ولكن بوجوده عز جل كما في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقولـه: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[الشعراء: ٢٤] وهذا دليل على أن من طلب اليقين وصل إليـه، ومـن أراده أعمل أدوات حسه وعقله، وسعى لكي يرى العلامات والآيات المحـسوسة التـي بثها الله في الكون ،لتكون موصلة لليقين كمـا فـي قولـه: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[الجاثية: ٤]، وقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الـذاريات: ٢٠]، ولأن اليقين إنما يكون عن معرفة وعن استدلال؛جعل الله مـا يـشاهدونه حـسًا آيات وعلامات يستدلون بها عليه، وهذه الدلائل ليس فيها إكراه؛ بل هي لعموم البـشر وهي واضحة وكافية، فمن لم يستدل بها فلعلة فيه لا لنقص في الدليل،كما جرى التنبيه على الشرط المناسب للانتفاع بتلك الآيات المشاهدة في الكون، فقيد (المـوقنين) يـدل على أن الآيات إنما ينتفع بها من أراد أن يستدل بها، وذلك الاستدلال يتضمن أمـرين: بما ينبني عليه الدليل من المقدمات المسلمة أو الأوليات،(مثل: أن لكل مخلوق خـالق، وأن من در على الأكبر يقدر على الأصغر) الثاني: بلزوم الوصول للمعرفة، فالذين لا يصلون للمعرفة اليقينية من تلك الدلائل ومسلماتها الأولية إما أهـل السفـسطة الـذين ينكرون الأصول الأولية، أو المقلدون الفجار الذين لا ينكرون الأصـول الأوليـة لكـن ينكرون ما يلزمها ويستنتج منها،فليس المراد الإيقان بمحض المشهود وإنما الاسـتدلال بالآيات، وذلك هو كمال رسوخ العقل(١).

ولم يحدد مفعول للإيقان في الآيات السابقة، ليشمل اليقين سائر ما يتوصلون له بـالنظر الصحيح فيما يحتاج فيه إلى النظر، كالإيقان بوجود الله ورسالة الرسل، وذلك بتلخـيص المقدمات، والوصول بها إلى حد الضروريات، وربط المحسوسات بـالمعقولات فأنـت بعد الوصول إلى ما وصلت إليه كأنك راء ما استقر رأيك عليه(٢).

(١) ينظر: نظام القرآن الفراهي (ص:١٣٤) الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح الهند نيودلهي ط:الأولى ٢٠٠٨م.
(٢) ينظر: تفسير المنار(١/ ١١٤).

ويقول تعالى في آية أخرى جامعًا المحسوسات والمعقولات للدلالة على اليقين: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِى لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾[الرعد: ٢].

ووجه الجمع بينهما هنا أن تدبير الأمر يشمل تقدير الخلق الأول والثاني، فهو إشارة إلى التصرف بالتكوين للعقول والعوالم، وتفصيل الآيات مشير إلى التصرف بإقامة الأدلة والبراهين، وشأن مجموع الأمرين أن يفيد اهتداء الناس إلى اليقين بأن بعد هذه الحياة حياة أخرى، لأن النظر بالعقل في المصنوعات وتدبيرها يهدي إلى ذلك، وتفصيل الآيات والأدلة ينبه العقول ويعينها على ذلك الاهتداء ويقربه،فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث، والنشور، والإخراج من القبور(١).

فإن من تدبّرها حق التدبر أيقن أن من قدر على إبداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قديرٌ وأن لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغاياتٍ لا بد من وصولها وقد بُيّنت على ألسنة الأنبياءِ عليهم السلام أن ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب أعمالِهم فإذن لا بد من الإيقان بالجزاء(٢).

إن ارتباط اليقين بما تدل عليه الآيات المحسوسة المشاهدة في الكون دلالة أن إعمال العقل فيما يشاهد بالحس موصل لليقين الذي لاشك فيه، يقين بالله، وبوجوده، وبما يترتب على هذا اليقين من إيمان برسله، وبكتبه،وباليوم الآخر، كما يدل على أن اليقين يمكن اكتسابه بالاستدلال بالمشاهد على الغيب، فليس في التكليف بالإيمان بالغيب مالا يطاق؛ بل قد وضعت له الدلائل المشاهدة في الكون.

المطلب الثالث: ارتباط اليقين بآيات الله الشرعية

اختص الوحي بالتشريع ومن كانت معارفه يقينية أقام للتشريع منزلته وقدره، والتشريع حق لله سبحانه وتعالى خالق الكون ومدبر الناس، ولذا نجد ارتباط اليقين بالإيمان بآيات الله الشرعية، وأحكامه، وكتابه، كون من تيقنها فقد بلغ أعلى مراتب اليقين إيمانًا، واستدلالًا، وعملاً بها، يقول تعالى: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ١١٨]. فآيات الله إنما يصل لها ويستهدي بها من تيقن، وخص الله بذلك القوم الذين يوقنون،

(١) ينظر:التحرير والتنوير (١٣/ ٨١)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤١٢).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٣).

لأنهم أهل التثبت في الأمور، والطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة. فأخبر الله جل ثناؤه أنه بين الآيات لمن كانت هذه الصفة صفته ليزول شكه، ويعلم حقيقة الأمر، إذْ كان ذلك خبرا من الله جل ثناؤه، وخبر الله الخبر الذي لا يعذر سامعه بالشك فيه. وقد يحتمل غيره من الأخبار ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب، وذلك منفي عن خبر الله عز وجل [١].

ويقول تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، يوقنون باللَّهِ وبحكمه، أو بالقرآن، ويتبينون عدل اللَّه في حُكمه، فإنهم يعرفون أنه لا أحد أعدل من اللَّه حُكماً، ولا أحسن منه بياناً، فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز -بإيقانه- ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين -عقلاً وشرعًا- اتباعه. واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل [٢].

ومن تيقن بالله واستدل على ألوهيته علم أن لا أحد أحسن حكمًا من حكم الله تعالى لقوم يوقنون بدينه، ويذْعنون لشرعه ؛ لأن هذا الحكم يجمع الحسنيين؛ منتهى العدل، والتزام الحق من الحاكم، ومنتهى القبول والإذعان من المحكوم له والمحكوم عليه، وهذا مما تفضل به الشريعة الإلهية القوانين البشرية [٣]، وفي آية أخرى يبين تعالى أن منازل الإمامة والعلم في الدين إنما تكون بالإيقان بآياته الشرعية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٤]،

والتأمل في القرآن وآياته وسوره ينتج بصيرة قلبية توصل لدرجة اليقين بالله تعالى، يقول تعالى واصفاً القرآن الكريم:﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]،بصائر: جمع بصيرة، وهي إدراك العقل الأمور على حقائقها، شبهت ببصر العين أي: يبصرون به الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، فجعل ما فيه من معالم الدين والشرائع، بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة، أي فهو تشبيه بليغ، وهدى أي: من الضلالة، ورحمة أي :من العذاب لمن يطلبون اليقين[٤].

والقرآن الكريم مصدر معرفة يقيني، يقول تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة: ٩٥]، وقال:﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[الحاقة: ٥١]، أي:: وإنه للحقّ اليقين، الذين

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٥٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٨١)، اللباب في علوم الكتاب (٧/ ٣٧٨)، تفسير السعدي (ص: ٢٣٥)

(٣) ينظر: تفسير المنار (٦/ ٣٤٩).

(٤) ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٤٣٠)، التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٥٠).

لا شكّ فيه أنه من عند الله، لم يتقوّله محمد صلى الله عليه وسلم، واليقين أعلى مراتب العلم، وهو العلم الثابت، الذي لا يتزلزل ولا يزول.

واليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى مما قبلها:أولها: علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر، ثم عين اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة البصر، ثم حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة، والقرآن الكريم، بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين [1].

المبحث الثالث: أثر اليقين بمصادر المعرفة في منهج البحث في التفسير

إن تحديد مصادر المعرفة تشكل القاعدة التي ينطلق منها أي بناء علمي، ولأن مصادر المعرفة في الإسلام كانت تكاملية توافقية، كان الاطمئنان بها وباختصاصاتها الأثر الكبير على العلوم الإسلامية، ولا يمكن عزل اليقين المعرفي بها عن نتائجه، التي أثمرت تنوعًا في العلوم الإسلامية واستخدامًا للوحي والعقل في تكامل بينهما.

إن إيمان المؤمنين بصحة النص وقطعيته لا ينبغي أن يقتصر على التسليم المحض فحسب،بل بناء معرفي متكامل يبدأ من الإيمان بالله، والنبوة، والوحي، وعالم الغيب، إيمان تتقاطع فيه كل الاستدلالات العقلية، والمشاهدات الحسية وصولًا بأن القرآن كلام الله تعالى المحفوظ بحفظه على مدى الدهر.

إن ذلك البناء المعرفي المتكامل هو الذي يوصل إلى صحة منهجية التفسير المؤسس على الإيمان بالنص وصحته، وقبل ذلك الإيمان بمقتضى الألوهية من تشريع للعباد وهدايتهم.

إن ترديد الشبهات حول موثوقية النص القرآني أو انتقاء التناقضات في أطروحات التفسير منهج مطرد للوصول إلى حالة من الشك بالنص، وتفسيره، وأحكامه، ليس القصد منها شك منهجي يوصل للحقيقة؛ إذ أنه لا يوجد في تلك الأطروحات الحديثة نظام معرفي متسق متكامل؛ بل القصد لتشكيك التعطيل الموصل لانهيار المنظومة المعرفية في التفسير.

ولذا كان البناء المعرفي اليقيني في التفسير، ومعرفة ما تقوم عليه مصادر المعرفة في الإسلام، وأهمية اليقين بها مقدمة ضرورية في منهج البحث والتلقي في التفسير.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٩٥)، تفسير السعدي (ص: ٨٨٥).

وقد أسلفنا أن المعرفة في الإسلام تتميز بتعدد مصادرها (الوحي، العقل، الحس) وتتداخل هذه المصادر وتتكامل في العلوم الشرعية، ومنها علم التفسير الذي يقوم على ركيزة أساسية الإيمان بحقيقة الوحي كمصدر معرفي، وأن القرآن وحي منزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه محفوظ في الصدور، والسطور، تتابعت الأمة على تلقيه وحفظه، وأن الله تعالى شرع لعباده طرق عبادته، كما شرع لهم أصول معاملاتهم، وأوصل لهم شرعة بالنبوة والكتاب.

إن كتب التفسير على اختلاف اتجاهاتها لم تكن تجادل في هذه الحقيقة المعرفية، وإنما كان سبب الاختلاف في تفسير بعض النصوص بتأويل المعاني، أو تقديم العقل على النقل،لا بنفي الوحي أو التشكيك في موثوقية النص القرآني.

والمعرفة الإسلامية الموصلة لليقين تجلت في منهج البحث في التفسير، في عدة ظواهر تبرز منها ما يلي:

المطلب الأول: الاهتمام بوضع ضوابط للمفسر:

يتظافر الوحي والعقل في الإسلام ليحكما صحة الاستدلال فالدليل العقلي يقتضي صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم التسليم بما تتضمنه نصوص الكتاب والسنة من مسائل وأحكام، وإذا كان الوحي متضمنا للحجة على ثبوته، وعلى أصول مسائله، كان لابد فيمن يتصدى لتفسير الوحي من ضوابط وشروط شرعية علمية، وعقلية، وأخلاقية.

إن التصدي لمهمة تفسير كلام الله وبيان مراده لعبادة مهمة عظيمة ينبغي لمن يتصدى لها أن تتوفر ضوابط وشروط،وليست تلك الضوابط والشروط إلا تعظيمًا لمهمة من يتصدى للمصدر الأول وتجويدًا لها، وصحيح النظر والفكر يوجب الإعداد قبل العمل، فكيف يمكن أن يؤخذ تفسير للقرآن ممن لا يؤمن بأن الوحي مصدر من مصادر المعرفة، أو لا يمتلك الآليات والأدوات اللازمة لفهم لغته أو النظر في تاريخ تفسيره " إن المتصدر للتفسير لابد أن يتوافر على آلته وعلومه، ويرى فيه أهل العلم الأهلية لذلك، حتى لا يتجرأ على كتاب الله تعالى بالجهل الفاضح، والتحريف المكشوف، والرأي المنهي عنه، والتفسير لا يقيم صناعته وينجح غرضه إلا تكامل العلوم وتناضر الأدوات"[1].

(١) ينظر:النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر(ص: ٥٢٠).

وأهم تلك الشروط هي: صحة العقيدة، وحسن النية، ودقة الفهم ، والتمكن من علوم اللغة العربية ،والعلوم الشرعية، وتشمل تلك الضوابط التي تكلم علماء الإسلام فيها ضوابط تشمل التكوين العلمي، والسمات الشخصية، وصحة المعتقد، فإن من أثر اليقين العمل، ولذا كان من تلك الشروط صلاح النية والعدالة، فلا يقبل التفسير ممن ساء فكره ومنهجه [1].

إن من كان متيقناً بمصدرية الوحي واختصاصاته، حرص أن يتزود بالآلة المعرفية لفهم خطابه والوقوف عن أقوال من فسروه، لأن اليقين باعث على الإقبال على الآلات التي تساعد للوصول للمعرفة، كما أن الشك يعقب الإعراض، فمن شك في ثبوت الوحي، ورام أن يعده كظاهرة إنسانية، أو كخطاب تاريخي، فسيعرض عن التزود بما يعينه على فهم معانيه، وأسرار خطابه.

وكثيرًا ما يحاول من لا يمتلك آلية التحصيل، ولا أدوات المعرفة، أن يتسلل لرحاب تفسير القرآن بحجة امتلاكه لفهم حديث، أو رؤية معاصرة، وتلك فائدة الضوابط لمنع من لا يتبع منهج المعرفة الإسلامي أن يتسلل إليه، أو أن يؤخذ من كلامه.

المطلب الثاني: إقامة التفسير على مقاصد التشريع:

تتميز المعرفة الإسلامية بالهداية في التشريعات، و لذا كان من لبنات اليقين إنزال التشريع الإسلامي مكانته، من حيث أنه اختصاص لله سبحانه وتعالى، الذي أوصله لنا بالوحي على رسله.

إن إدراك مقاصد التنزيل وحكم التشريع هو الذي يجعل المفسر يبحث عن غاية النص، ومعناه إذ أن التشريع هداية " ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم بعضه إلى بعض"[2].

إن من لا يدرك الغاية من التشريع، لن يصل للغاية من التنزيل،وفهم مراد الوحي في العقائد والأحكام والأخلاق متوقف على الإيمان بارتباط الوحي بالله الذي يخاطب الناس بالقرآن في كل زمان ومكان، لذا فإن عمومية الشريعة وصلاحها مما دل عليه الوحي والعقل، وكان اليقين به من مميزات البحث في التفسير إنه يقين يتجاوز حدود النص لتسخير كل آليات المعرفة لإدراك مقاصد التنزيل وغاياتها "ومن تتبع مقاصد الشارع

(١) ينظر :البرهان للزركشي (١٨٠/٢)، الإتقان للسيوطي (١١٩٨/٢).

(٢) ينظر :الاعتصام للشاطبي(٢٤٤/١).

في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع، ولا نص، ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك"[1].

المطلب الثالث: تراتبية مصادر التفسير ومجالاتها:

إن طبيعة المعرفة الإسلامية تقتضي أن لكل مصدر من مصادرها اختصاص ومجالات، وإن المصادر تتكامل وتتوافق فيما بينها، وتبين هذا في منهج البحث في التفسير.

فللتفسير مصادر وركائز يبنى عليها التفسير، واتساق منظومة المعرفة الإسلامية يجعل تلك المصادر متساوقة فيما بينها، فالقرآن، والسنة، وآثار الصحابة والتابعين، واللغة، والقياس، كلها مصادر للمفسر، لا يطغى منها شيء على شيء.

إن مصادر التفسير تساهم في استخلاص المعاني من النص القرآني بمطابقته تارة مع آيات مناظرة، أو بما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم قوليًا أو عمليًا، أو بأقوال السلف من الصحابة والتابعين أو بتفسير الآيات بمعانيها اللغوية وكل تلك المصادر تتظافر لتفسير النص القرآني.

ومما ينبغي هنا التنبه لأمرين:

الأول: يعيب كثير من أهل الأهواء المعاصرة عدم استخدام العقل، وأن التفسير يلغي دور العقل، إن دور العقل في تلك المصادر يتجلى في ضم النظير لنظيره، وتقييد المطلق،ومناسبة فعل الرسول أو قوله لآيات معينة، والترجيح بين المعاني المختلفة،وكلها عمليات عقلية كان المفسرون يعالجونها منذ بدايات التفسير، بالترجيح، وعرض الأقوال، والاختيار بينها.

والقرآن الكريم نص يحتاج إلى الأثر والرأي، ولكن لابد من تحديد دور العقل في تفسير النص، وقد أسلفنا الحديث عن الاهتمام بالعقل كمصدر للمعرفة،وكون الاستدلال العقلي أسلوبًا قرآنيًا، إلا أن العقل يتوقف عند اختصاصات الوحي؛ إذ أن عوالم الغيب لا تدرك بالتأملات العقلية، ولا الاستدلالات المنطقية،إن مدارك العقل وحدوده تتوقف على الإيمان المجمل بها، أما كيفيتها وتفاصيلها فاختصاص لا يجب أن ينازع فيه الوحي، وكما أن الوحي لم يأت بما يعارض العقول، فيجب على العقول أن تتوقف عند

(١) ينظر: قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام (١٨٩/٢).

اختصاصات الوحي، يقول ابن تيمية: " العقل شرط في معرفة العلوم، وفي الأعمال وصلاحها، وبه يكمل الدين والعمل، ولكنه لا يستقل بذلك ؛ إذ هو غريزة في النفس، وقوة فيها كقوة البصر إن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كنور العين إذا اتصل بها نور الشمس والنار، وإن انفرد لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها"(١).

الثاني: أن البناء على تلك المصادر ضرورة علمية، إن كل علم لابد له من عناصر لتكوينه لا يمكن أن يوجد العلم دونها، فلا يمكن الإحاطة بأي علم من العلوم دون الاستناد على القواعد المؤسسة له، وعناصره، ومظان تحصيلها، لذا جاء النهج الإسلامي في التفسير متوافقًا مع الأسس العلمية لأي علم، من خلال تحديد مصادره، وترتيبها، و بيان مجالاتها ،وطرق أخذ التفسير منها.

إن الإعراض مصادر التفسير والنأي عنها يعقب خللاً منهجيًا، ونقصًا معرفيًا، لا يمكن معالجته إلا برد كل الأقوال الخارجة عن تلك المصادر جملة واحدة، دون النظر في صحيح أو سقيم منها.

المطلب الرابع: اطراح المناهج الدخيلة:

إن اليقين بمصدرية الوحي وموثوقيته يمثل سورًا يمنع المناهج الدخيلة التي تطعن في استحقاق الوحي أن يكون مصدرًا للمعرفة،أو تقدم العقل على النص، أو تتأثر بالمناهج الوضعية، محاولةً عزل أجزاء الوحي عن بعض، عبر الطعن في موثوقية القرآن أو السنة، وتاريخية أحكامهما.

إن هذه الركيزة اليقينية تجعل الحكم على المناهج التي تجعل العقل مقدمًا على النص واضحًا لا ريب فيه، وإن كتبت بناء على ذلك كتب في التفسير، ويعرف موضع الخلل فيها، ويطرح ما نشأ عنه من تفاسير ومعان.

كما تمنع ما يسمى "أنسنة الظاهرة القرآنية "وهي المحاولات الحديثة التي تقتضي رفض فكرة الوحي كمصدر معرفيّ إلهي ضروريّ للإنسان،بحجة أن الإنسان هو مركز الكون وسيده، وأن نصوص الوحي نصوص لغوية، شأنها شأن أية نصوص أخرى في الثقافة، وأنه لو سلم بأصلها الإلهي،فلا يعني أنها تحتاج لمنهجيات ومصادر تتناسب مع طبيعتها الإلهية الخاصة(٢).

(١) ينظر:مجموع الفتاوى (٣/٣٣٨).

(٢) ينظر:نقد الخطاب الديني (ص:٢٠٦).

إن تكامل مصادر المعرفة الإسلامية وتعددها تمنع تلك النظرة التي تقوم مصدر واحد لا يقبل المزاحمة: إما الحس والتجريب أساس للمعرفة، أو أن العقل مصدر وحيد للمعرفة، وتمنع أن تستخدم تلك المناهج في تفسير النص القرآني، وإن ثبت مناسبتها للعلوم الطبيعية، وقسم من العلوم الإنسانية لا يعني أن تستخدم مناهجها لتفسير نصوص الوحي الذي يختص بالغيب والتشريع .

إن السعي وراء تلك المناهج والافتتان بها يردنا إلى حقيقة قرآنية ثابتة وهي أن عدم اليقين أنتج ذلك وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[الروم: ٦٠].

الخاتمة

لقد أقام القرآن مصادر معرفته على أسس تعمل النظر والفكر ولم يطلب الإيمان دون براهين كونية واستدلالات عقلية، لذا من وجد في نفسه الشك والريب عليه بالتأمل والنظر الذي يزيل شكه، ويذهب ريبه.

وكان من أهم النتائج في هذا البحث:

أن مصادر المعرفة في القرآن تبني اليقين بالحقائق المتوصلة منها.

أن المعرفة واليقين لهما وسائلهما المكتسبة التي بمقدور من يبحث عن الحقيقة أن يصل لها.

أن المعرفة اليقينية القائمة على ركيزة الإيمان بالله سبحانه وتعالى قد أثرت في طرق البحث والتلقي في العلوم الشرعية.

أن من أهم نتائج اليقين في علم التفسير ضع ضوابط للمفسر، الاهتمام بمقاصد التشريع، اطراح المناهج الدخيلة، وتراتبية مصادر التفسير

من توصيات البحث:

الاهتمام بمناهج البحث في العلوم الشرعية وبيان أصولها، واستيفائها للمتطلبات المعرفية،وتعظيمها في نفوس الناشئة لتكون حصناً عن مذاهب الشك المؤدية للإلحاد.

الاهتمام بتأصيل المعرفة إسلاميًا، وبيان نجاعة وشمول مصادر المعرفة في الإسلام لتشمل حاجات الروح والجسد، والغيب والشهادة.

المراجع والمصادر:

- **الإتقان في علوم القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الأولى،١٣٩٤ه.
- **الاعتصام**، لإبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، الرياض، ط الأولى ١٤١٢ه
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود**، لمحمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود،بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- **بحر العلوم= تفسير السمرقندي**، نصر بن محمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣ه.
- **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط الأولى، ١٣٧٦ه.
- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، لابن تيمية ،المحقق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤١٥هـ.
- **التحرير والتنوير**، محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٤م.
- **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣ه .
- **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار الوطن الرياض، ط الأولى ١٤٢٤ه.
- **تفسير القرآن الحكيم= تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط الأولى، ١٤٢٠ه.
- **درء تعارض العقل والنقل**،شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سال، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الثانية، ١٤١١ هـ.
- **جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري**،ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى،٢٠٠٠م.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة

- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الكتب العلمية، القاهرة: ١٤١٤هـ
- **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤٢٠هـ .
- **كشاف اصطلاح الفنون، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان، بيروت، ط الأولى ١٩٩٦م.
- **اللباب في علوم الكتاب**، لابن عادل الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩ه.
- **لسان العرب**، لسان العرب لابن منظور دار صادر – بيروت، ط الثالثة، ١٤١٤ه.
- **ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه**، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، تحقيق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية الفكر، ١٣٩٨م.
- **مباحث في علوم القرآن**، لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م.
- **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.
- **محاسن التأويل = تفسير القاسمي**، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط الأولى،١٤١٨ هـ.
- **مدخل إلى نظرية المعرفة أحمد الكرساوي**، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الدمام، ط الثانية ٢٠١٨م.
- **مصادر المعرفة بين الفكر الديني والفلسفي** عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط الأولى ١٤١٢ه.
- **مصادر المعرفة وحدود المنهج التجريبي في الإسلام**، عثمان جمعة، بحث في مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، مجلد ٥ عدد٣، ٢٠٠٨م
- **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ.

- **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، الرياض، ط الرابعة، ، ١٤١٧ هـ
- **المعجم الفلسفي**، جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط الأولى، ١٩٧٨م.
- **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، عبدالله بن محمد القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤١٩ه.
- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي،دار القلم، دمشق، بيروت ،ط الأولى ١٤١٢هـ.
- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٩٧٩م.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزُّرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،ط الثالثة.
- **النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر**، قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب، ط الأولى، ٢٠١٠م
- **نظام القرآن، للفراهي** الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح الهند نيودلهي، الطبعة: الأولى ٢٠٠٨م.
- **نقد الخطاب الديني**، نصر أبو زيد، دار ابن سينا، القاهرة، ط الثانية، ١٩٩٣م.